خطبتان نفيستان

للمستر لويد جورج رئيس الوزارة الانكليزية

ولد المستر لويد جورج رئيس الوزارة الانكليزية الحالي في منشستر سنة ١٨٦٣ وكان ابوهُ معلماً وامهُ ابنة قسيس . توفي ابوهُ وهو طفل فكفله خالهُ ورباهُ حتى اذا بلغ الرابعة عشرة أتفق عليهِ لدرس المحاماة فدرسها ونال شهادتها سنة ١٨٨٤ وانتخب سنة ١٨٩٠ في البرلمان واعيد انتخابهُ سنة ١٨٩٣ وسنة ١٨٩٥ وسنة ١٩٠٠ . واشتهر بدفاعهِ عن حزب ويلس الوطني وعن استقلال كنيستها . واشتهر في البرلمان بجسارتهِ وشدة اندفاعهِ في معارضة المحافظين . وبلغ ذلك منتهُ غايتهُ في حرب البوير فعارض المستر تشمبرلن اعظم معارضة ودافع عن البوير بكلام مرّ قارص وجّههُ الى رجال الوزارة فثارت خواطر الجمهور عليهِ حتى انهُ لما حاول الخطابة في برمنغهام في انتخاب سنة ١٩٠٠ قاومهُ الحاضرون فاضطر ان يفرّ منهم ولكن اعيد انتخابهُ في بلدهِ وزادت شهرتهُ في البرلمان التالي بمقاومتهِ لمشروع قانون التعليم

ولما فاز الاحرار في انتخاب سنة ١٩٠٦ وتولى السر هنري كمبل بنرمن رياسة الوزارة جُعل وزيراً للتجارة . وبعد ذلك بسنتين توفي السر هنري وخلفهُ المستر اسكويث فجعلهُ وزيراً للمالية . ومن اشهر آثارهِ في وزارة المالية ادخالهُ مشروع القانون الخاص بمعاشات الشيوخ على ان اشهرها والذي جعل اسمهُ حديث الانكليز في كل مكان مشروع القانون المسمّى بقانون البرلمان . وخلاصتهُ ان المستر لويد جورج بصفة كونهِ وزيراً للمالية اراد سدّ العجز في ميزانية سنة ١٩٠٩ — ١٩١٠ وقدرهُ ٦ مليون جنيه بضرائب جديدة يقع معظمها على اكتاف الاغنياء . فاقترح زيادة ضرائب الاشربة الروحية والدخان والرخص والاملاك والتركات والايراد زيادة كبيرة وفرض رسوم جديدة كبيرة على اراضي البناء في المدن تبلغ كبيرة ورسومهُ صغيرة . فلما تمت قيامة مجلس النواب على الميزانية الجديدة وكان المستر لويد جورج قد سماها « ميزانية الحرب » ولقبها انصارهُ « ميزانية الشعب » اشارة الى ما فيها من مبدإ تحميل الاغنياء حمل الفقراء . واخيراً وافق مجلس النواب عليها فارسلت الى مجلس الاعيان ليوافق عليها ايضاً حسب العادة . وفي تقاليد البرلمان الانكليزي انهُ يجوز لمجلس الاعيان رفض اللوائح المالية اذ شاء ولكن لا يجوز لهُ تنقيحها . ولم يسبق لمجلس الاعيان من قبل ان رفض ميزانية ما ولكنهُ رفض هذه الميزانية باكثرية عظيمة .

الوزير لويد جورج وحالته

مقتطف يونيو ١٩١٢

امام الصفحة ٩٦٠

فاستقالت الوزارة على عملها وعرضت الامر على الامة بان فضّت البرلمان واعادت الانتخاب لتقف على رأيها فيه ففاز الاحرار بمعونة حزب العمال والحزب الارلندي

وفي خلال هذا النضال توفي الملك ادوارد السابع ورقي الملك جورج الخامس سرير الملك فسنّ الاحرار قانوناً يقضي بانهُ اذا عرض مشروع قانون مالي على مجلس الاعيان ثلاث مرات في خلال سنتين يصبح قانوناً بعد موافقة مجلس النواب عليهِ ولو رفضهُ مجلس الاعيان . فبات مجلس الاعيان بذلك مغلول اليدين في الشؤون المالية وهي الغاية التي كان احرار الانكليز يسعون اليها منذ زمان طويل

ومما اشتهر بهِ المستر لويد جورج ايضاً تهديدهُ لالمانيا في مسئلة اغادير المشهورة . فانها ارسلت احد طراداتها الى ميناء اغادير من موانئ المغرب الاقصى على الاتلانتيكي في صيف سنة ١٩١٢ تمهيداً لعمل عدواني تقوم بهِ هناك . فدارت المفاوضات بين فرنسا وانكلترا وروسيا وكانت تسمّى حينئذٍ دول الاتفاق الودّي وكانت نتيجتها ان قام المستر لويد جورج خطيباً في لندن وانبم المانيا بصريح اللفظ ان انكلترا تقاوم بالقوة كل عدوان يبدو منها ضد فرنسا . فاستدعت المانيا طرادها من اغادير وانتهت الحادثة ظاهراً عند ذلك الحدّ . وواقع الامر ان المانيا اسرعت من ثمَّ في استعدادها حتى اثارت الحرب الحاضرة

ولما نشبت الحرب كان المستر لويد جورج لا يزال وزيراً لالية ثم جرى في الوزارة ما جرى من التغيير والتبديل للمرة الاولى فتألفت وزارة من الاحرار والمحافظين وبقيت تحت رآسة المستر اسكويث وبقي اللورد كتشنر وزيراً للحربية . ثم لما استعفى المستر اسكويث جعل المستر لويد جورج رئيساً للوزارة ولا يزال يتولى هذا المنصب الى الآن

اما خالهُ المشار اليهِ فتوفي في آخر فبراير الماضي عن ٨٣ سنة فشهد المستر لويد جورج جنازتهُ هو وقرينتهُ وقبل الجنازة كتبت قرينتهُ كتاباً تعتذر فيهِ عن حضور حفلة كانت وعدت بحضورها وقالت في كتابها هذا مشيرة الى الفقيد « لقد كان لنا خيراً من أب والمستر لويد جورج مديون لهُ بكل ما لديهِ »

الخطبة الاولى

ولقد خطب المستر لويد جورج حديثاً خطبتين نفيستين الاولى خطبها يوم ١١ ابريل الماضي في النادي الاميركي المعروف باسم « اميركان لشن » في لندن على اثر انضمام الولايات المتحدة الاميركية الى الحلفاء في محاربة المانيا وحليفاتها قال فيها :

« اضرم الجيش البروسي في العصر الاخير ثلاث حروب رمى فيها كلها الى تدويخ

البلدان وفتحها وقد اختلف منظر الكتائب السكرية التي تسير في شوارع مدن بروسيا وميادين الاستعراض فيها عقول البروسيين . ولما رأى الامبراطور هذا المنظر العسكري العظيم في ميادين الاستعراض ثمل منهُ فاخذ يسن الشرائع للعالم كأن بوتسدام صارت جبل سيناء او كأنهُ ينطق بالوحي من غمامة يقصف منها الرعد

« لا تظنوا ان اوربا كانت جاهلة معنى هذه الامور ومغزاها . وكل ما جهلتهُ منها موعد انقضاض الصاعقة . لقد صبرت اوربا على هذا الخطر والاستبداد خمسين سنة وشل هذا الخطر قوى الدول كلها وغل يدها وكان حتمًا ان تبذل قواها في ترقية شعوبها واسعاد عالمها . وماذا اقول عن فرنسا . ان الفرنسويين وحدهم يستطيعون ان يصفوا لكم ما تحملوهُ من هذا الاستبداد بصبر وشجاعة ورباطة جأش حتى حانت ساعة الخلاص وفيها وُجهت جميع قوى فرنسا الديمقراطية الى الدفاع عن نفسها ودرء الخطر الداهم . فهذه ايها السادة الحالة التي تعيَّن علينا ان نخلافها

« ان من اهم ما ابتكر البروسيون ومن اعظم الامور دلالة على اخلاقهم ما يدعى « خط هندنبرج » فما هو خط هندنبرج هذا ؟ هو خط مرسوم في بلاد السوى كتب عليهِ ان اهل تلك البلاد اذا حاولوا اجتيازهُ يستهدفون للتهلكة . وقد رسم هذا الخط في اوربا منذ خمسين سنة . وبعد ما جرت اوربا على هذو الحال كل هذه المدة استقر قرارها اخيراً على ان يرسم خط هندنبرج على حدود المانيا الشرعية . هذا هو السبيل الوحيد الى تحرير اوربا وسائر انحاء العالم

« واخيراً أكرهت اميركا على معاناة ما عانتهُ اوربا فأبلغ الاميركيون انهُ يحظر عليهم عبور الاوقيانس الاتلنتيكي ذهابًا او ايابًا واذا فعلوا استهدفوا للهلاك وان بواخرهم تغرق بلا إنذار وان رعاياهم يغرقون بها من غير انذار كأن ذلك حق من حقوق الالمان . ولم تكد اميركا في اول الامر تصدق ما قيل لها وابت ان تعتقد ان شعبًا فيهِ مسكة من العقل يتصرف هذا التصرف فصبر الاميركيون على هذه الحال مرة وسكتوا عليها مرتين ولكن تبين لهم ان الالمان يترون حقيقة تنفيذ ما يقولون وحينئذٍ عمدت اميركا الى العمل وعملت بحزم وعزم . فان الالمان رسموا خط هندنبرج على سواحل اميركا وقالوا للاميركيين اياكم ان تجاوزوهُ فقالت اميركا « وما هذا ؟ » فاجابت المانيا « هذا خطنا الذي لا يجوز لكم ان تخطوهُ » فردت اميركا قائلة « ان مكان هذا الخط ليس في الاوقيانس الاتلنتيكي بل على خير الرين وسنساعدكم على اعادتهِ الى هناك » ثم شرع الاميركيون ينفذون قولهم

« ان لدينا حقيقتين عظيمتين تؤيدان ما يقال من ان هذه الحرب نزاع عظيم لاجل الحرية واولى هاتين الحقيقتين ان اميركا انحازت الى المدافعين عن الحرية وما كانت لتنحاز اليهم لولا ذلك . والحقيقة الثانية هي الثورة الروسية فان فرنسا كانت دولة مطلقة لما ارسلت جنودها في القرن الثامن عشر الى اميركا ليقاتلوا لاجل حرية تلك البلاد واستقلالها ولكن لما وصل الفرنسويون الى اميركا صارت الحرية غرضهم الاكبر وصاروا يتشوقون هواء الحرية وصار المامهم الحرية فالفوا الحرية وصاروا يستطيبونها وعادوا بها الى اوطانهم فتحررت فرنسا . وهذا ما اصاب روسيا فقد خاضت غمار هذه الحرب العظيمة دفاعاً عن حرية سربيا والجبل الاسود وبلغاريا . حارب الروس دفاعاً عن حرية اوربا فراموا ان يحرروا بلادهم وقد فعلوا

« ان الثورة الروسية ليست نتيجة نزاع لاجل الحرية بل برهان على نزاع عظيم لهذا الغرض . واذا ادرك الشعب الروسي ان حفظ النظام الوطني لا يناقض الحرية الوطنية بل ان هذا النظام ضروري لسلامة الحرية الوطنية وتوطيد اركانها — اذا ادرك الشعب الروسي هذه الحقيقة فانهُ سيصير شعباً حراً حقاً . وجميع الدلائل تدل على انهُ مدركها

« سألت نفسي قائلاً ترى لماذا اخرجت المانيا اميركا عمداً في العام الثالث من اعوام الحرب وتحدتها حتى دفعتها الى اعلان الحرب — اقول عمداً واكرر هذا القول

« فقد علموا ذلك بان المانيا كانت تعتقد ان في البلاد الاميركية عناصر تجعل اضرام الحرب من جانب الولايات المتحدة مستحيلاً وهو تعليل لا يقنعني ولا اصدقهُ . ولكن المرشال هندنبرج وافانا بالجواب في حديث غريب . فقد تبين من هذا الحديث ان المرشال هندنبرج معتمد على احد امرين الاول ان الغواصات ستفتك ببواخر الشعوب فتكاً يشل الكثير قبل ان تأهب اميركا حاسباً ان اميركا لا تستطيع التأهب في اقل من سنة فدل بذلك على انهُ يجهل اميركا . والامر الثاني انهُ متى تأهبت اميركا في آخر الحرب فلا يبقى في المانيا بواخر لنقل جيشها الى اوربا . وقد قال ان اميركا لا يعتد بها وعنى بذلك ان اميركا لا تملك البواخر اللازمة لعمل وهذا كان حسابهُ

« ولا يجدر بنا ان نعتقد ان هيئة اركان الحرب في الجيش الالماني اذا اخطأت فان خطأها جاء عفواً . فيجدر بالحلفاء والحالة هذه ولا سيما انكلترا واميركا ان يثبتوا الخلل في حساب المرشال هندنبرج هذا كما فعلوا بحسابهِ في خطتهِ الشهيرة التي خرقناهُ

« ان الطريق الى النصر وضمان النصر والنصر الاكيد تجمع في كلمة واحدة وهي

البواخر . وقد ادرك الاميركيون ذلك بدقة نظرهم وعزموا على انشاء الف باخرة حمولة كل الواحد منها ٣٠٠٠ طن للسفر في الاوقيانس الاتلنتيكي . وعندي ان الالمان ورجال العسكرية فيهم اخذوا يرون الآن وجه الخلل في حسابهم وان هذا الخلل سيؤدي بهم الى البوار والدمار وان الشعب البريطاني شعب بطيء كثيراً اخذاً ولكنهُ يدرك غرضهُ اما الاميركيون فاسرع منهُ الى ادراك غرضهم . وهذا هو الباعث على سروري بدخول اميركا فقد واصلنا الحرب ثلاث سنوات وكفرنا عن كل خطاء وقطعنا شوطاً كبيراً في سبيل النجاح ونحن الآن نسير في السبيل القويم

« وليسمح لي الاميركيون ان اقترح عليهم ان يمموا النظر في الغلط الذي ارتكبناهُ ويبدأوا حيث وصلنا الآن لا حيث كنا منذ ثلاث سنوات . ويسرني ان اميركا سترسل بعض رجالها العسكريين والبحريين من ذوي الخبرة الى بريطانيا العظمى لمفاوضة رجالنا الذين خبروا الحرب وشاقها وتتاعبها في الاعوام الثلاثة الماضية »

وبعد ما جاهر بما لاميركا من الفضل على الحلفاء وتجهيزها اياهم بالمدافع والذخيرة قال « ان اليوم الذي تحدثت فيه بروسيا جمهورية الغرب العظمى الكثيرة الخصب والعظيمة الموارد كان يوماً اسود على استبداد بروسيا العسكري فانا نعلم ان اميركا ستضرم حرباً عظيمة مقرونة بالنصر وتكفل صلحاً نافعاً . ويسرني ان اميركا ستكسب حق الجلوس في مؤتمر الصلح الذي يبت مصير الامم ومستقبل الجنس البشري لعصور لا يحصيها الا علام الغيوب . ولو امتنعت اميركا عن دخول الحرب لكان امتناعها نكبة على الانسانية

« اني ارى السلم المقبل ولكنهُ لا يكون فاتحة حرب اخرى بل يكون السلم الحقيقي الذي ينشدهُ العالم . ان العالم قديم الوجود ولكنهُ لم يتمتع بنعمة السلم قط بل كان يضطرب ويموج كامواج البحر وقد عاشت اوربا المسكينة كل عمرها تحت السيف المصلت

« لقد نشبت الحرب الحاضرة لان ثلثي اوربا كانا خاضعين لحكم المطلق اما الآن فقد انقلب الحال وصارت الدمقراطية عنوان السلام

« ان دمقراطية فرنسا لم تكن تبغي الحرب ودمقراطية ايطاليا ترددت كثيراً قبل ان خاضت غمارها ودمقراطية بريطانيا العظمى انجمت عنها وارتعشت وما كانت لتدخلها لولا غزو المانيا لبلجيك . فالدمقراطية طلبت السلم وجاهدت في سبيل السلم ولو كانت بروسيا دمقراطية لما وقعت الحرب ولكن هذه الحرب ولدت العجائب وستأتينا بما هو اغرب مما شاهدنا وهو آت قريباً

« وفي التاريخ عصور يسير فيها العالم سيرهُ المقرر لهُ ببطء والتئاد حتى لقد يخيل الى الناس انهُ وقف فروتاً برمتها في مكانهِ . وفيهِ عصور يسير فيها بسرعة مدهشة ر يقطع في سنة ما يقطعهُ عادة في قرون . فمنذ ستة اسابيع كانت روسيا حكومة مطلقة اما الآن فهي من اشد دمقراطيات العالم مبالغة في الدمقراطية . اننا اليوم نشهد اعظم حرب عرفها العالم في فتكها ودمارها وضداً قد تمحى الحرب من جدول الجنايات البشرية وهذا يشبه اشتداد سورة الشتاء في آخر فصلهِ قبل ان يتغلب الصيف عليهِ

« قيل عن الابطال الذين احرزوا النصر وهم من كندا واستراليا وهذه البلاد انني اثبت انها مع شيخوختها لم تحط ولم تهرم — قيل عن هؤلاء الابطال انهم حملوا ساعة الفجر ليخرجوا من بقعة مساحتها اربعون ميلاً مربعاً من ارض فرنسا اولئك اللئام الذين دنسوها مدة ثلاثة اعوام نعم هجم اولئك الابطال عند الفجر . ان في هذا القول لعبرة فان تباشير الفجر لاحت بالقضاء على الحكم التركي الذي ظل بضعة قرون كغمامة حجبت نور الشمس عن أبهى بلدان العالم وبتمأس روسيا من الاستبداد الذي كنت بهِ منذ زمان طويل وبالاعلان العظيم الذي جاهر بهِ الرئيس ولسن ودخول أمة عظيمة في حرب الحرية — هذه كلها تباشير الفجر

« لقد هجم اولئك الابطال عند الفجر وهم يسيرون الى الامام بنور ذلك الفجر وعما قريب يخرج الفرنسويون والاميركيون والايطاليون والروس نعم والصربيون والمونتنجريون واهل الجبل الاسود والرومانيون — من نور الفجر إلى نور الشمس الساطع » انتهى ملخصاً

الخطبة الثانية

وخطب خطبتهُ الثانية في دار بلدية لندن في اواخر ابريل وذلك في الحفلة التي اقيمت ابتهاجاً بمنحهِ حرية مدينة لندن . وهاك ملخصها :

ان النصر بات مكفولاً لنا والمشكلة الكبرى التي يطلب مناحلها هي مشكلة المواصلات ونحن مصممون على حلها . فان المانيا تنوي ان تحول دون سير البواخر والسفن في البحار و بلوغ هذا الامر ضروري لانتصارنا اياكم والاستخفاف بخطر هذا الامر فاننا لا نستطيع تلافيهُ الاَّ اذا ادركنا مبلغهُ حق الادراك

لقد افاقت هذه المشكلة بالنا عامين ونصف عام ولم يدرك الالمان في اول الامر مضاء هذا السلاح الذي يهدم ولكنهم ادركوهُ بعد ذلك فوجهوا قواهم الى صنع الغواصات

ولما عقدوا النية على اغراق السفن والبواخر بلا قيد ولا تمييز تيسر لهم ان يزيدوا عدد ما اغرقوه منها ولكنهم بعملهم هذا حملوا اميركا على دخول الحرب . وهذه نتيجة لحرب القراصات تبشي على تمام الارتياح . فقد ابقت اميركا في آخر الامر ان من العبث التلويح براية الحياد امام كلاب البحر

ان ابرع الناس واحذقهم في بلدان الحلفاء يشتغلون الآن بحل مشكلة القراصات وحسبي ان اقول هذا فليس من الحكمة التوسع فيه ولكن سمعوني انا مهتمون اشد اهتمام بحل المشكلة ولم ار في حياتي مشكلة بشرية تعجز البشر عن حلها ولست اعتقد ان مشكلة القراصات تشذ عن هذه القاعدة

مشكلة الطعام

ثم وصف التدابير التي اتخذتها وزارات الحكومة ومصالحها لحل مشكلة الطعام فقال : ان فلاحي انكلترا يزرعون الآن من الاراضي ما يزيد عشرة في المئة عما كانوا يزرعونهُ قبل الحرب وقد ضمنت الحكومة للفلاحين وعمال الزراعة اموراً تختص بالاثمان والاجور واسفر الجهد الشديد الذي بذلناهُ في بضعة الاشهر الماضية عن زيادة المزروع من الاراضي مليون فدان وهي تُنتج مليوني طن من الطعام

مدة الحرب

« لا اقول ان الحرب تدوم سنة ١٩١٨ بطولها ولكننا نأبى المجازفة والاعتماد على الصدفة والاتفاق فقد افرطنا في ذلك فيما مضى

« ان الالمان اذا عملوا ان ثباتهم الى آخر سنة ١٩١٨ يحيج لم النصر يجيء بعدنا فانهم يثبتون ولكنهم يعلمون ايضاً انهُ كما طال ثباتهم ساء مصيرهم ولهذا فالصلح يعقد قبل ذلك ونحن الآن مهتمون باتخاذ التدابير لموسم ١٩١٨ قبل فوات الاوان وقد اخذنا نعد ثلاثة ملايين فدان اخر للزراعة وحتى تم لنا ذلك فلا يعود في طاقة احد ان يجوعنا ولو انقطعت جميع الواردات عنا

« ولكن هذه الامور لا تتم لنا الاَّ اذا ساعد الجميع . لكم جرايات معينة فحافظوا عليها ولتكن المساعدة عامة في مطبخ المنزل وفي المصنع وفي خنادق الميدان

« ولو اتخذنا هذه التدابير لتوسيع نطاق الزراعة منذ سنة او سنة ونصف لامنَّا كل خطر على طعامنا ، ويحتمل اننا لم نكن نجد الكفاية من القمح ولكننا كنا نجد الكفاية من البطاطي . والشوفان والشعير من الاطعمة المغذية وقد ربيت عليها

الملاحة والواردات

ثم استطرد الكلام الى الملاحة والواردات فقال: ان ما تم في تخفيض الواردات لم يكن كافياً فقد اقتصدنا في السنة الماضية ما زنتهُ مليون ونصف مليون من الواردات ولكننا اتخذنا الآن تدابير اخرى لتخفيض الواردات ستة ملايين طن اخر وسيبلغ مجموع ما نخفضهُ من وارداتنا في آخر الامر اكثر من عشرة ملايين طن في العام من غير ان نضعف صناعة من صناعاتنا الجوهرية

ونجد حاجتنا من الخشب ونسعى الآن للحصول على معظم المعادن التي نحتاج اليها باستنباطها من مناجم بريطانيا العظمى . ولا يحل شهر اغسطس القادم حتى يزيد مقدار الحديد الذي نستخرجهُ في بلادنا اربعة ملايين طن وسنعدل اثاثين الصهر التي عندنا لهذا الغرض . وليس فيكم من يجهل معنى اقتصاد عشرة ملايين طن في الواردات ولو اقتصدناها منذ سنة لكان لنا في مخازن بلادنا الآن من القمح ما يكفينا عاماً كاملاً

« ان في كندا ٨٠ مليون بشل من القمح كان في طاقتنا ان نجليها الى هنا وكان الواجب علينا ان نأتي بها اما الآن فان عشرين مليوناً او ثلاثين مليوناً منها سترسل الى الولايات المتحدة لعدم وجود سوق اخرى لها فعلينا ان نواصل تخفيض الطعام حتى نقف على اسلوب لقتل مكروب التواصات الذي لوث الاوقيانس

« هذا احد الامور التي يتعين علينا عملها ولكن هنالك اموراً اخرى سواهُ فقد اخذنا ننشئ البواخر واتخذ وزير الملاحة من التدابير ما يمكننا ان نصنع في سنة ١٩١٧ ثلاثة اضعاف بل اربعة اضعاف البواخر الجديدة التي صنعناها في السنة الماضية ونظم ادارة جميع بواخر البلاد بحيث نجعلها خاضعة لادارة واحدة وسلطة واحدة . وهذه اول مرة حدث فيها هذا الامر . ومعنى ذلك ان بواخر هذه البلاد ستخدم الجوهري الضروري من تجارة هذه البلاد

« ومع ان خسارتنا من البواخر التي تغرقها الغواصات كانت كبيرة حتى الآن ومع ان الخسارة قد تستمر على هذا المنوال فقد نظم وزير الملاحة سير البواخر والتأمين تنظيماً يمكنهُ من جعل واردات يوليو القادم اعظم من واردات مارس الماضي

اخلاق الانكليز

« ظن الالمان انهُ تقضي علينا ولكنهم جهلوا الجيل الذي يحاربونهُ . فقد اثبت التاريخ ان بلادنا القديمة تعرف كيف تحرز النصر متى شدد الاعداء عليها وسنفوز هذه المرة ايضاً

بالوسائل التي ذكرتها . ان ما اراهُ واعرفهُ من مطالعة تقارير الحكومة اليومية ومن القاء نظرة عامة على الموضوع كلهِ من جميع اطرافهِ يحملني على ان اقول بلا تردد اننا اذا انفذنا بياننا وجرينا على خطتنا وادّى كلٌّ منا الواجب المفروض عليهِ فان حرب الغواصات الالمانية مقضي عليها بالانكسار

« ولكن هذا يقضي على كل فرد من افراد الامّة ان لا يتعدّى الجراية المعينة لهُ وعلى الفلاحين والعمال ان يزرعوا الارض وعلى الصناع والعمال في دور الصنعة والمصانع ان يبذلوا مجهودهم في زيادة ما ينشأ من البواخر والسفن فاذا فعلنا هذا كلهُ بالصدق والاخلاص فليطلع العدو احمض ما عندهُ

« وقد توسعت في البحث في مسألة الغواصات هذه لان الجمهور اهتم بها اهتماماً شديداً ولكن الحكومة عاملة على نشر جميع الارقام لانها تريد ان يعلم الشعب انها لا تكتم شيئاً عنهُ . ان بريطانيا العظمى بلاد لا تخرج خبر ما فيها حتى تقف على اسرأ الاخبار وهذا الحكم يصدق على كل بلاد في اعلها عزيمة واقدام واخلاق راسخة »

الحرب والسياسة والتجارة

ثم بحث في البر التي استخرجها المليون والصناع والجنود والتجارة من الحرب فقال : « ان هذا الانقلاب العظيم الذي عمّ العالم غيّر آراءهم في التجارة وفي صناعاتهم واقول ان مستقبل هذه البلاد يتوقف على مقدار ما تعدُّهُ ساستها من الحرب . وقد سمعت بعض رجال السياسة يقول انهُ متى وضعت الحرب اوزارها فستعود المياه الى مجاريها السابقة وتعود الحال الى ما كانت عليهِ ويستأنف السير في اعمال الحكومة على الاساليب التي كانت عندنا . ان الذين لا يعرفون رجال السياسة يعتقدون انهم من دعاة الثورة ومن اشد غلاة الثورة بل من اشد دعاة الرجعة في الدنيا

« كان لنا قبل الحرب في هذه البلاد خمسة احزاب سياسية كلٌّ منها مستقل عن الآخر تمام الاستقلال وقد تبين للناس الآن انهُ لم يكن بين تلك الاحزاب حزب واحد انفرد بالحكمة او اوتي كل التعقل والحذق السياسي بل تبين للناس ان الاحزاب الخمسة لم تجمع في صدورها كل الحكمة والدراية وادركوا الآن ان في السماء والارض اموراً لا تدخل ضمن دائرة الفلسفة السياسية التي لكل حزب من هذه الاحزاب الخمسة . هذا احد الامور التي انكشفت لنا بنور لهيب الحرب الهائلة

« متى وضعت الحرب اوزارها فاني ارجو واعتقد وابتهل الى الله ان لا نعود الى ما كنا فيه من منازع الاحزاب واساليبها المتيقة وانظمتها التي اكل الدهر عليها وشرب بل نطبق اعمالنا على خير الاساليب التي اظهرتها لنا الحقائق التي كنا نجهلها اتم الجهل قبل الحرب

« تقدمنا في السن والحكمة الف سنة منذ نشبت الحرب الحالية وازدحم اختبار الرجال في بضعة اعوام فاذا نبذنا الاختبار والحكمة والمعرفة التي تعلمناها في الحرب حرصاً على قواعد وضعناها من عهد عاد لم نكن جديرين بالمصير العظيم الذي اعدتهُ العناية للحال الحاضر

« ليس في عمل الامبراطورية البريطانية السياسي ما يحتاج الى التعديل والتنقيح احتياج خطتنا نحو مجموع الامم والشعوب الذي نصير عنهُ بلفظة الامبراطورية البريطانية فقد كنا فيما مضى ننظر اليهِ كنظرية مجردة ولكن الحرب اثبتت لنا ان الامبراطورية حقيقة مادية وعامل من اعظم العوامل اليوم في دفاع البشر عن الحرية

معنى الامبراطورية

« أرسل الى فرنسا في اغسطس ١٩١٤ مئة الف رجل فنيروا اتجاه تيار التاريخ وقدمت المستعمرات والهند مليون رجل فمدل هذا العدد آراءها في حقيقة الامبراطورية البريطانية وفوائدها . ان العالم لا يسعهُ ان تتفرق هذه الامبراطورية ايدي سبا ولكننا مخيرون بين توثيق عرى الارتباط بين اجزائها وتشتيت شملها تشتيتاً نهائياً

« ان الامور لا يمكن ان تظل حيث كانت . ورب قائل يقول ان العلاقات المبهمة التي كانت بيننا وبين المستعمرات المستقلة وبلاد الهند العظيمة هي التي ادت الى هذا الارتباط الحقيقي . فهذا كلام كان يصح قبل ان يذلت تلك المستعمرات مع الهند البذل العظيم اما الآن فقد اثبتت حقها في الشركة معنا . ستكون قاعدة التعاون بيننا في المستقبل قائمة على مبدإ الشورى الصحيحة فاذا كان قرارنا هذه المرة قد انتب تلك البلدان وكلفها ملايين من نخبة رجالها كما حدث فعلاً فالواجب يقضي علينا بان نستشيرها قبل الاقدام على العمل وان نمم النظر في اساليب ادارة الامبراطورية والعلاقات بين اجزائها . ثم ان الحرب قد لا تكون خير الاوقات للبحث في الانظمة الجديدة ولكن يجب ان تكون امبراطوريتنا حقيقة فعلية ومجالسنا مجالس حقيقية وشاهدي على ذلك مجلس وزارة الحرب الامبراطوري فقد اثبت باعماله قيمة هذه الشورى . ان زملاءنا من المستعمرات والهند لم يشتركوا في مؤتمر رسمي ولكنهم اخذوا قسطاً حقيقياً من مباحثنا وشؤوننا وقراراتنا وكانوا مصدر قوة عظيمة لنا ومنبع حكمة في مفاوضاتنا

« أما نحن هؤلاء المتدوبون بآراء جديدة وعقول مستريحة ونظروا الى حرب العالم من مواقف مختلفة . ولا يخفى عليكم ان العقول اذا سارت في سبيل واحد زمناً طويلاً تصدأ وكلما عظمت هذه العقول تراكم صدأها وكثر خطأها وفي هذه الحالة تبدو الحاجة الى عقول جديدة « لانتشال المركبة من الحفر التي تسقط فيها » وقد اتيح لنا هذه العقول فوضعنا قرارات بعيدة الغور ساعدنا في وضعها زملاؤنا من وراء البحار . وقد بحثنا في امور ومشاكل عظيمة الشأن تتعلق بالغواصات والملاحة والطعام وتناقشنا في قرارات عظيمة الشأن في الامور الحربية شاركونا فيها ولكن يجمل بنا ان نفعل اكثر من ذلك . كشفت لنا هذه الحرب قيمة الامبراطورية فيجب ان يكون في مقدمة مهام رجال الدولة والسياسة في المستقبل اتخاذ ما يلزم من التدابير لترقية الموارد العظيمة التي لنا فنجعل هذا الامر قبلة انظارنا وموضوع فكرنا ونتخذه قاعدة لاعمالنا . ويجب علينا ان نرقي البلدان التي تحقق عليها رأيتنا . ولو وجهنا عقولنا ولوانا ونفوذنا الى هذا الغرض منذ خمسين سنة لكان عدد سكان المستعمرات المستقلة الآن ضعفي ما هو ولحولنا تيار المهاجرة الى تلك المستعمرات بدلاً من سيره الى بلدان اخرى وحولنا اليها ايضاً جانباً من مهاجري شعوب اوربا المتصفين بالرجولية

« لقد استقر قرارنا على ان تعنى الحكومة البريطانية وحكومات المستعمرات في المستقبل بتوثيق عرى الارتباط بين اجزاء الامبراطورية بالتجارة والاخذ والعطاء والعلاقات العمومية في الاعمال والاشغال

« وقد امعنا النظر والبحث في هذه القضية ورأينا ان ترقية تلك المستعمرات الواسعة الاطراف تقضي بتنشيط حاصلات كل جزء من اجزاء الامبراطورية . ومن رأينا ان في حكم الطاقة انشاء نظام من المراعاة والتفضيل لا يقضي بفرض ضرائب على الطعام ونعتقد ان ذلك مستطاع من غير فرض هذه الضرائب اما والطعام قليل وغال الآن فليس الزمان الحالي زمان البحث في زيادة هذا العبء

« ان المراعاة المقصودة تتم من غير فرض رسوم على الطعام فان هناك طرقاً اخرى تؤدي الى هذه الغاية بالجري على الاساليب التي جرت عليها البلدان الاخرى لتحسين المواصلات بين مستعمراتها وبهذا يتاح نقل حاصلات جزء من الامبراطورية الى اسواق جزء آخر بسهولة واقتصاد

« ان في الامبراطورية موارد لا تنفى من الثروة والمعادن والطعام والخشب وسائر ما يحتاج اليه البشر لترقية هذه الموارد الى اقصى ما يستطاع مفيد للبلاد التي تنتج الحاصلات

ولسائر انحاء الامبراطورية في جملتها المملكة البريطانية فان هذا يزيد ثروة الامبراطورية كلها و يوثق عرى الاتحاد بينها

مشكلة ارلندا

وتكلم الوزير عن ارلندا فقال : ان الواجب يقضي بجعل هذه الجارة الخطرة المشبعة بالريب والشبهات وسوء الظن والواقفة موقف المعاند صديقة موالية مفعمة بشراً وسروراً هذا اذا شئنا ان تكون امبراطورية حقا قوية وثيقة العرى وسلام العالم وطيد الاركان فان ارلندا هي منبع الخطر الوحيد في امتنا . واذا ناشدت الامة البريطانية ان تسوي مشكلة ارلندا فانا افعل ذلك بما اطلع عليه من الحقائق كل ساعة وهو ان الجميع في اميركا واستراليا وسواهما يعتقدون ان تسويتها من اركان النصر المجيل فانا اناشد كل ذي وطنية صادقة ان يغضي عن كل شيء رغبة في حل هذه المشكلة

ولاء الهند

« ويجب علينا ان نوحد جميع قوانا لكسر شر عدو قاتلناه . ولقد كانت الهند منبع اعظم خيبة لآمال المانيا في هذه الحرب مع كثرة الخيبات التي خابتها فيها فقد كان الالمان يتوقعون في الهند الفتن والخيانة والاستياء وعدم الولاء ويعتقدون ان قوة بريطانيا العظمى ستستغرق في قمع هذه الامور في الهند . فاذا وقع حقيقة ؟ ابدت الهند حماسة شديدة وولاء عظيماً و بذلت المعونة للامبراطورية فحق لها ان تطلب الآن بشعر عشرات الملايين التي تقطن فيها انهم جيل محكوم بالامبراطورية بل انهم احد الشركاء فيها فجميع هذه الامور تقتضي ان تكون سياستنا سياسة حزم واقدام

« ان الاحجام والتردد والوهن صفات ممقوتة في السلم ولكنها قتالة في الحرب ولقد قابلت بريطانيا العظمى مشكلة الحرب بشجاعة عجيبة فلنقابل مثلها كل السلم بمثل هذه الشجاعة

« اني اشكر محافظ لندن ومجلس هذه المدينة العظيمة على الشرف الذي اولوني اياه وليس على ذلك فقط بل على ما أتيح لي من تشديد عزيمتي برؤيتي رجالاً قاتلوا فيما مضى وهم يعملون الآن معاً لاعظم الغايات واسماها . فعسى هذا التعاون ان يدوم لا في احراز النصر فقط بل بعد ما تلتئم جروح الحرب في ترميم الخراب الذي احدثته وجني ثمار النصر المجيد »

وقال بعد المأدبة ما نصهُ : لا اريد ان يفهم السامعون انهُ لم يبقَ علينا ما نعمل لان الامور صارت على ما يرام فان هذا احد المصاعب الحقيقية التي تعانيها اذ المبالغة

تولد الذعر ولكن اذا ذكرنا الحقيقة مجردة من كل شيء وقلنا اننا سنخرج فائزين ببذل الهمة والنشاط فقد يقول الواحد «ليبذل غيري اما انا فاني اشترك في الخروج بالفوز». ان الفوز مضمون اذا قام كل منا رجالاً ونساء بنصيبه. لقد تكلمنا عن طرق السياسة المألوفة في ابان الحرب لان الحرب العظيمة كالمرض الشديد اذا أصيب به الواحد تخلى عن جميع اعماله العادية فعلينا ان نوحد قوانا لقتال العدو الماثل الذي يطعننا في صدورنا. وقد تبين لي بالاختبار في اثناء رياستي للوزارة منذ خمسة اشهر ان الحكومة لقيت المعونة من أفراد من جميع الاحزاب. ان الافراد الذين يقدمون في اعتبارهم انتصار الاحزاب على الانتصار في الحرب قليلون ولكن المرء قد لا ينسى وجود الاحزاب. ولا احاول تطبيق هذه النظرية الآن وحسبي ان اقول للذين يعتقدون ان الشعور بوجود الاحزاب قد زال وان في طاقتهم ان يسيروا بسفينة السياسة في بحر امين انهم اذا فتحوا عيونهم ابصروا هنا موجاً خفيفاً ورأوا هناك بعض الصخور وسفسي لاجتناب هذه المواضع اما اذا تبين لنا انها ستعرقل سير سفينة الامة فاعلموا ان في هذه البلاد من الشجرات الفكرية ما يكفي لسفها والسير بالسفينة الى بر الامان

«وما نسي لا تنسى أيام الذعر المالي في بدء الحرب ولكن الثقة المالية التي لبريطانيا العظمى فازت وتغلبت مع كل ما تنبأ به المتشائمون مما يناقض ذلك»

وأشار الى الجيش الانكليزي الاصلي فقال: «واني لا زال اذكر الايام السود لما كان ابطالنا مرابطين في خنادقهم المدمرة يحملون في الليل والنهار هزء الالمان وتعريضهم. ان ثبات المشاة البريطانيين امام مدافع نبوليون في احدى معارك ذاك الزمان من أعظم الفصال الخالدة في تاريخ الحروب ولكن سلالة اولئك الجنود ثبتوا امام مدافع أعظم من مدافع نبوليون نهاراً وليلاً أسابيع وأشهراً فلم ينكصوا. وهذه أعظم رواية وردت في تاريخ العالم ان اولئك الابطال لم ينكسروا ولا يستطيع امرؤ ان يحقق ما فعلوه الا اذا سمع اقوالهم ان قصتهم خالدة ونحن مدينون لذلك الرجل القصير القامة الشجاع الذي كان يقودهم في تلك الاشهر السود من غير ان يتولاه الخوف والوجل واعني به اللورد فرنش. ولما تولت تنظيم موارد انكلترا فعلت ذلك لامكن اولئك الابطال من الحرب واني أحمد الله على ما تم فقد أتيح لم الفرصة للحرب بهمة أصحاب المصانع والعمال. ولا انسى النساء فقد لقاطون بثبات الالوف الى المصانع وكن يسألن عما يستطعن القيام به لمساعدة اخوتهن الابطال في ميادين القتال وقد فعلت كل منهن ما في طاقتها فانقلب الامر وتغيرت الحال في تلك الميادين الآن»